الدلالات اللغوية في شعر النابغة الذبياني

دراسة موضوعية فنية

الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

النابغة هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، يكنى ابو امامة و يلقب النابغة ((و ذلك لنبوغه في الشعر و اكثاره منه بعدما احتنك))[١] قال عنه ابن رشيق القيرواني ((هو احد شعراء الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء))[٢] و هو احد الاشراف الذين غض الشعر منهم [٣] و كان يضرب له قبة من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها و قد عده ابن سلام في طبقاته ((بعد امرؤ القيس و قبل زهير و الاعشى و كان عمر بن الخطاب (ر ض) يعده اشعر العرب))[٤] و قد وصف النابغة من بين الشعراء احسنهم ديباجة لفظ و جلاء معنى و لطف اعتذار ، و هو لم يتكسب بشعره الا في مدح ملوك العرب [٥] و هو من اشراف ذبيان و قد اتصل بملوك الحيرة و مدحهم و طالت صحبته للنعمان بن المنذر الذي ادناه منه و اتخذه جليسا و نديما و وصله بجوائزه السنية حتى صار لا يأكل و لا يشرب الا في صحاف الذهب و الفضة و مما جاء في اخباره ان انقطع الى مناذرة العراق ثم الى غساسنة الشام فكان شاعر بلاط موفورا جانبه مرغوبا في مدحه ، و لكنه لم ينس في حالتيه قومه و احلافهم[٦] و كان النابغة رجلا محنكا مجربا و حكيما كاملا و قد عاش الى ما بعد مقتل النعمان و دليلنا بذلك ما جاء في كتاب الاغاني (لما نعي النعمان الى النابغة و حدث بما صنع به كسرى قال طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثل بابيات ، اما مقتل النعمان فكان نحو ٦٠٢م و اذن فقد لا نخطئ اذا اخذنا بقول بعض المؤرخين ان النابغة قد توفي ٦٠٤م)[٧] و قد نقل لنا المؤرخون ان النابغة من المعمرين كبار السن و كان شيخا ابيض الشعر كما قال بنفسه ، و قد اختلف الرواة في لقبه (النابغة) و قد شرحه بعضهم شروحا مختلفة و لقد زعم بعضهم ان دعي النابغة لأنه استعمل لفظة نبغ في قوله :

---

[١] - الاغاني : للاصفهاني ، ج٢ ، ص٣٩ .
[٢] - العمدة : للقيرواني .
[٣] - رجال المعلقات العشر : الشيخ مصطفى الغلاييني .
[٤] - طبقات ابن سلام الجمحي ، ط٢ ، ص٢٦٨ .
[٥] -
[٦] - النابغة الذبياني : فؤاد البستاني ، ط٥ ، ص٩ .
[٧] - الاغاني : ج٢ ، ص٣٩ ، و ينظر : جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي ، ص٦٣ .

و حلت في بني القين بن جسر فقد نبغت لهم منا شؤون [٨]

نشأ النابغة ف الوسط من قومه و لا يعرف عن شبابه سوى ما نقله دي برنال من مزاحمته حاتم الطائي .

و رجلا اخر على امرأة اسمها ماوية و قد اخفق في ذلك[٩] و نقل عن الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض) قال لمعشر غطفان من الذي قال من الشعراء :

اتيتك عاريا خلقا ثيابي على خوف تظن بي الظنون

قلنا النابغة قال الخليفة ذلك اشعر شعرائكم [١٠]

و روى ابن مؤمل قال قام رجل الى ابن عباس (رحمه الله) حبر الامة و ابن عم الرسول المصطفى (ص) قال اي الناس اشعر ؟ قال ابن عباس : اخبره يا ابا الاسود الدؤلي قال الذي يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي و ان خلت ان المنتأى عنك واسع [١١]

و اتفق الرواة على ان النابغة اشتهر بالقصيدة المتجردة التي خص بها زوجة النعمان و ذكر فيها خصائص لا يليق ذكرها في صفات المتجردة و حلاوة جسمها و قد استغل الشاعر المنخل اليشكري تلك القصيدة حجة للانتقام من النابغة لان اليشكري كان يحب المتجردة فخاف النابغة من عقاب النعمان و هرب الى قبيلته فاغتنم الاقارع فرصة غيابه و نظموا قصيدة هجو الى النعمان و اوصلوها اليه فزادوا نقمته على النابغة [١٢] و لكون النابغة سيدا من سادات القبيلة يرجع اليه في الخطوب و الشدائد و لم يسلم من حسد بني قومه لعفته و منزلته فتضايق منهم و انطلق الى الغساسنة في الشام و قد نزل بعمرو بن الحارث الاصغر فمدحه و مدح اخاه النعمان ثم انقطع بعد موت النعمان الغساني الى اخيه عمرو و لبث عنده الى

---

[٨] - خزانة الادب للبغدادي : ٢٨٧ و ينظر : الشعر و الشعراء لابن قتيبة ص ٧٤ ، و الاغاني ، ج٩ ، ص١٦٢ .
[٩] - النابغة الذبياني ، البستاني ، ج ، ص .
[١٠] - ديوان النابغة الذبياني ، كرم البستاني ، بيروت ، ص٥ .
[١١] - المصدر نفسه ، ص٦ .
[١٢] - ديوان الذبياني ، كرم البستاني ، ص٦ .

ان رضي عنه النعمان بن المنذر و سامحه و بقي في بلاط المناذرة و كانت شاعريته مشهورة يعرض عليه الشعراء قصائدهم فكان اول من انشده في احد المواسم الشعرية الاعشى ثم حسان بن ثابت الانصاري ثم الخنساء اخت صخر التي قالت له :

و ان صخرا لتأتم الهوات به كانه علم في رأسه نار [١٣]

فقال النابغة ((و الله لولا ان ابا بصير (الاعشى) انشد في انفا لقلت انك اشعر الجن و الانس فقام اليه حسان فقال ((و الله لانا اشعر منك و من ابيك)) فقال النابغة يا ابن اخي انك لا تحسن ان تقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي و ان خلت ان المنتأى عنك واسع [١٤]

و قد حدث حسان عند قدومه الى النعمان ليمدحه رأى النابغة بعد هروبه من المناذرة و قد كلف جارية ان تغني للنعمان قوله :

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت و طال عليها سالف الابد[١٥]

فلما سمع النعمان ذلك قال (اقسم بالله انه لشعر النابغة)

و قد نقل الرواة عن موت النابغة انه قد اسن و كبر و توفي في السنة التي قتل فيها النعمان بن المنذر و كانت وفاته ٦٠٤م لميلاد المسيح عليه السلام و سنة ١٨ قبل الهجرة النبوية .

ان حياة النابغة لم تستقر في مكان فقد قضاها بين الحيرة و قرى الغساسنة ، كما نقل الرواة لنا انه مدح امراء المناذرة منهم ابن ماء السماء (٥٠٥م) و كذلك اتصل

[١٣] - رجال المعلقات العشر ، ص٢٦٨ .
[١٤] - رجال المعلقات العشر ، ص٢٦٩ .
[١٥] - رجال المعلقات العشر ، ص ٢٧٠ .

النابغة بقابوس (٥٧٠م) و قد اكد ابن قتيبة في الشعر و الشعراء كان النابغة مع النعمان بن المنذر و مع ابيه وجده و كانوا له مكرمين)[١٦]

و كان النابغة مشغولا بأحداث قومه و هنا مثل الشاعر السياسي لان قومه تعرضوا الى مشاكل مع حلفائهم و احتاجوا الى النابغة ليمثل لسان حالهم و قد اشتدت حرب السباق و داحس و الغبراء سنة ٥٦٨م و كان هم النابغة (ان يحفظ لقومه الذبيانيين حلف بني اسد و بني تميم كي يقروا على مقاومة العبسيين و احلافهم من بني عامر)[١٧] و من يطالع ديوان النابغة يرى تلك الصورة الحربية و صراعات القبائل و كلها تمثل تاريخا امينا لقدرة النابغة السياسية و مقدرته في المناظرات و المساجلات و الدفاع عن قومه و الحلفاء بالشعر .

و قد نقل الرواة صفات النابغة بانه حسن الهيئة مهيب النظر يترك له ضفيرتين تتدليان على كتفيه و كان ذا عفة و شرف و انفة طالما حسد عليها [١٨] حتى انه كان يترفع عن مدح السوقة [١٩] اما معيشته كانت على جانب من الترف و البذخ و خاصة من عطايا النعمان ، و قد نقل لنا البستاني عن صفاته ايضا انه (كان رزينا ذا بصر بالأمور ، جمع الاختبار و الحنكة الى دقة الملاحظة و الحكمة فنال مركزا ساميا في قلوب قومه)[٢٠] و كما كان يلجأ الناس اليه في مشاكلهم الاجتماعية و السياسية و كانوا يحكمونه في مشاكلهم الادبية و الرواة يجمعون على انه كان يرأس محفل عكاظ لما خص به من حسن الذوق و دقة النظر و صواب الحكم فتضرب له قبة من ادم [٢١] فيفاضل بينهم و يحكم فينزلون عند حكمه في الغالب اما دين شاعرنا فمن المرجح انه كان النصرانية لكثرة ما نراه في شعره من الشواهد الدالة على توحيده فحسب كما ذكر صاحب تاج العروس المرتضى الزبيدي قوله الاتي : ظلت اقاطيع

---

[١٦] - الشعر و الشعراء لابن قتيبة ، ص٧٥ .
[١٧] - النابغة الذبياني ، فؤاد البستاني ، ص٥٨٣ .
[١٨] - الاغاني ، ج١٤ ، ص٢ .
[١٩] - ديوان النابغة ، ص٩٧ .
[٢٠] - النابغة ، منتخبات شعرية ، ص٥٩٤ .
[٢١] - الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، ص١٩٧ .

انعام مؤبلة لدى صليب على الزوراء منصوب[٢٢] و قال صاحب التاج ايضا ((قيل سمي النابغة العلم صليبا لانه كان نصرانيا ، اما مذهبه فقد اشار اليه البستاني مرجحا انه يعقوبي مذهب الغساسنة بدليل مدحه هؤلاء بصحة دينهم و اهتماهم بإقامة شعائره[٢٣]

اما اول من جمع شعر النابغة فهو الاصمعي عبد الملك بن قريب فاختار له ٢٤ قصيدة زاد عليها الطوسي بضع قصائد و كلها موجودة في دواوين الشعراء الجاهليين و ممن شرح ديوان النابغة الوزير ابو بكر البطليوسي و قد نشره الاب شيخو في مجموعته (شعراء النصرانية) عام ١٨٩٠م .

و قد جمع النابغة حسب اراء النقاد عناصر الشعر الى درجة سامية فهو ذو شعر رقيق تظهر مفاعيله و عاطفته قوية و حماسة و رهبة لديه و تميز كذلك بالاعتذارات التي نرى فيها حزنا عميقا مقرونا بقلق مضطرب و قد صاحبه التشاؤم من الحياة و ما ميل كثير من الادباء و الامراء و التعلق بشعره و تفضيله الا دليل على شاعريته المتقدمة و تنوع موضوعاته و قد وصفوه لا يرمي الا صائبا [٢٤]

و له قدرة عرفها بنفسه اذ قال مقابلا بينه و بين غيره من الشعراء ببيت من اثرى ما قاله :

يصد الشاعر الثنيان عني صدود البكر عن قرم الهجان [٢٥]

و مهما يكن من خلاف فان النابغة ذو شخصية معروفة في الشعر معدودة من رجال المعلقات و مما جعل له منزلة كبيرة في عصره و ما بعد دخوله في غرض السياسة و الادب فكل ممثل قبيلته في بلاط الملوك و حكم الادباء في سوق عكاظ و ما كانت هذه لديه لولا منزلته الرفيعة بين الشعراء .

---

[٢٢] - التاج ، للزبيدي ، ج١ ، ص٣٣٧ .
[٢٣] - منخبات شعرية ، ص٥٩٥ .
[٢٤] - مقامات بديع الزمان الهمذاني ، طبعة بيروت ، ٢ .
[٢٥] - الديوان ، ص٩١ .

و اذ نتوقف في بحثنا هذا موجز بين شخصية النابغة لابد ان نتوقف في المبحث الثاني باحثين عن علاقة النابغة بالنعمان و ما نهاية تلك العلاقة .

علاقة النابغة بالنعمان بن المنذر :

تكاد جميع الروايات تجمع على ان النابغة قد اتصل بالنعمان بن المنذر و صادقه و اخلص له الود و صار شاعر الملك فترة من الزمن حتى غضب عليه الملك لأسباب مختلفة اختلفت فيها الروايات [٢٦] .

لقد قال صاحب الاغاني (قالوا جميعا فلما صار النابغة الى غسان نزل بعمرو بن الحارث الاصغر بن الحارث الابرح فمدحه النابغة و مدح اخاه النعمان و لم يزل مقيما مع عمرو حتى مات و ملك اخوه النعمان فصار معه)[٢٧].

و قد جاء ايضا في مصدر اخر (ان سبب غضب النعمان على النابغة ما نصه (قال النعمان للنابغة يا ابا امامة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته هذه و وصف فيها بطنها و روادفها و فرجها فلحق المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان ما يستطيع ان يقول هذا الشعر الا من جرب فوقع ذلك في نفس النعمان و بلغ النابغة فخاف و هرب الى غسان)[٢٨].

ان الناشرين لديوان النابغة لم ينسبوا سوى هذه القصيدة لملك من ملوك الحيرة جاء قبل النعمان بن المنذر و سائر قصائد الحيرة بعد هذه تنسب جميعا الى النعمان فما لدينا من شعر للنابغة ما يثبت انه كان على صلة بملوك اخرين من ملوك الحيرة ممن سبقوا النعمان بن المنذر و على الاخص قصيدته الميمية :

اتاركة تدللها القطام و ضنا بالتحية و الكلام [٢٩]

---

[٢٦] - النابغة الذبياني ، د. محمد زكي العشماوي ، ص١٧ .
[٢٧] - الاغاني ، ج٩ ، ص١٦٧ .
[٢٨] - النابغة ، العشماوي ، ص١٧ .
[٢٩] - ديوان النابغة ، ص .

و هذه القصيدة لم تكن موجهة لعمروا بن هند ، و اذا رجعنا الى ملوك غسان و بدء اتصال النابغة بهم نلاحظ ان النابغة اكثر من اسم الامراء غسان فقد ذكر عمروا بن الحارث الغساني في اكثر من موضع :

دعاك الهوى و استجهلتك المنازل و كيف تصابي المرء و الشيب شامل [٣٠]

و كلنا يعلم لن قبيلة غسان قد نزحت في الجنوب الاقصى لجزيرة العرب و استقرت في محل سليح و هم اول عرب اسسوا مملكة في الشام ، و قد اتخذوا لغة الشام الارامية لغة لهم و قد اعتنق الغساسنة مذهبا من مذاهب المسيحية و قد اشار النابغة الى ذلك :

محلتهم ذات الالة و دينهم قويم فما يرجون غير العواقب [٣١]

و قد اعجب النابغة بقوة الغسانيين و مهارتهم الحربية و اظهر هذا الاعجاب في مواضع كثيرة في شعره و قد قال الدكتور العشماوي ان للنابغة في غسان عشر قصائد وجه بعضها الى عمرو بن الحارث الغساني و وجه البعض الاخر الى النعمان بن الحارث الغساني [٣٢].

و عن علاقته بالنعمان كانت ذات بداية معقدة فان النابغة ((لم يجرؤ ان يدخل راسا على النعمان لانه لم يكن قد امن وعيده و لا قرار على زأر من الاسد و هو لا يريد ان يأتيه مجرما بل محبا فاخذ يبرر نفسه و يقدم اليه تلك الاعتذاريات الرائعة ، و لما رأى حسان بن ثابت رضى النعمان عن النابغة شعر بانتهاء حظوته فحسده))[٣٣]

و مهما يكن من امر فان النابغة كان شاعر النعمان الخاص و لم يكن لاحد حظ من الملك سواه حتى ان مركزه اوغر صدور منافسيه حسدا فاخذوا يفسدون العلاقة و كان اشدهم طيشا (عبد القيس بن خفاف التميمي و مرة بن سعد السعدي و قد نظما على لسان النابغة هجاءا سفيها يذكران في بعضه جده لامه و كان صائغا .

---

[٣٠] - ديوان النابغة ، ص .
[٣١] - ديوان النابغة ،ص .
[٣٢] - النابغة الذبياني ، العشماوي ، ص٣٣ .
[٣٣] - المنتخبات الشعرية ، البستاني ، ص٥٨٧ .

و لعلنا نجمع الراي المتفق عليه في سبب هذا الخصام بين النابغة و النعمان هو المتجردة زوجة النعمان و ملخص الحكاية ان النعمان قد تزوج بامرأة ابيه المتجردة و كانت من اجمل نساء العرب في عصرها و كان النعمان قبيحا ابرش دميما و لكنه شديد الغيرة عليها و حدث ان النابغة راها مرة فسقط حجابها فاستترت بيدها فقال عند ذلك :

سقط النصيف و لم ترد اسقاطه فتناولته و اتقتنا باليد [٣٤]

و هذه القصيدة طويلة فيها وصف خليع شهواني يتجاوز حدود الاخلاق فبلغت النعمان عن طريق (مرة القريعي) و المنخل اليشكري الشاعر و كان نديما للنعمان و يميل الى المتجردة فأوشى الى النعمان بذلك و قد اشار النابغة في قصائده ان الاقارع من اوشوا به الى النعمان و قد قالوا ان النعمان عرف بمدائح النابغة الى اعداءه و اعداء ابائه فكره النابغة و غضب عليه و قد بلغ النعمان حاجبه (عصام الجرمي) و كان صديقا للنابغة ان سنذره ، فهرب النابغة الى ملوك غسان .[٣٥]

و هكذا كانت الاعتذاريات اشهر شعر النابغة بلا خلاف قالها يعتذر بها للنعمان بن المنذر عن تركه اياه و رحيله الى بني غسان و يتبين مما رمي به و قد رضي عنه النعمان على اثر ذلك و قد عد التبريزي قصيدة يا دار مية من القصائد العشر لان الشاعر جمع فيها فنونا مختلفة من وصف و مدح و قصص و اعتذار و سوف ناتي عليها لدراستها في الفصل الثاني .

[٣٤] - ديوان النابغة ، ص ٧٨ ، و الاغاني ، ج٩ ، ص١٦٤ .
[٣٥] - الاغاني ، ج٩ ، ص١٦٥ .

قبل الدلالات مقدمة في اغراضه الشعرية

في البدء و قبل الخوض في اغراضه الشعرية بالتفصيل ينبغي ان نشير الى ان الشعر العربي قبل الاسلام قد احتل مكانا بارزا في دائرة العلوم العربية التي نضجت في العصور التالية للعصر الجاهلي بوصفه منفذا رئيسا لها و بمعنى اخر ان نضج هذه العلوم كان اساسه و بذرته الاولى الشعر الجاهلي حيث اعتمد عليه علماء اللغة في علومهم و النقاد في تكوين دراساتهم النقدية و علماء الانساب في معرفة انساب القبائل كما كان له الفضل الكبير في نشر الثقافة و نقل تقاليد العرب و قيمهم و اعرافهم فكيف نعرف كرم حاتم لولا الشعر و كيف نعرف حب و عذرية جميل لولا الشعر و كيف نعرف قصة المتجردة مع النابغة لولا الشعر ايضا و بما ان شاعرنا الذبياني يعد من قدماء الشعراء الجاهليين فقد كان شعره في صدارة ما يشهد به في مختلف كتب اللغة و النقد و لعلي انقل ملاحظة استشفها من خلال متابعتي الادب ان بعض شعر النابغة قد ضاع اغلبه و قد اختلط بشعراء غيره و نبرر بهذا ان التأليف كان قليلا و قد اعتمد على الرواية و السماع و ان الانسان معرض للنسيان و خلط الافكار و على الرغم من ذلك فقد استشهد بشعر النابغة في مواقف عديدة منها كتب النقد مثل فحولة الشعراء و الشعر و الشعراء و كتاب الصناعتين و زهر الاداب و سر الفصاحة و كذلك في كتب الاختيارات و الحماسات منها البصرية و الاشباه و النظائر من اشعار المتقدمين الجاهليين و كذلك كتب التاريخ منها مروج الذهب و تاريخ العرب قبل الاسلام و لابد من التأكيد على ان بواعث شعر النابغة لا تكاد تخرج من كونها بواعث محصورة بالاطار القبلي اكثر من الذاتي و ان معاناة النابغة لم تكن فردية بحته بل هي هواجس و ازمات اجتماعية رافقت تطلعه الى هموم قبيلته و بهذا نستطيع ان نقول بان شعر النابغة قد حصر بالتعبير عن الوجدان القبلي العام من خلال التغني بأمجاد و بطولات قبيلته و مواقف الملوك فان النابغة حين يفخر بنفسه فانه يستمد هذا الافتخار من محيطه القبلي بكل قيمه و اعرافه كما اشارت الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها القيم

(قيم جديدة في الادب العربي القديم و المعاصر و لكن الابداع الذي تميز به النابغة قد توازن مع تلك الاسباب)[٣٦].

و لابد ان ندخل في تلك الاغراض دارسين بواعثها :

١- المديح : يعد المديح من الموضوعات الرئيسة في الشعر العربي قبل الاسلام لاتصاله بالقيم الخلقية الاصيلة التي كانت تشكل جزءا مهما من نفسية العربي في ذلك العصر و قد نتلمس و نحن نتابع شعر النابغة في مديحه و فخره تسجيله تلك القيم الخلقية التي يصف بها الرجال و هي تختلط بين الفخر و المديح و كانهما غرض واحد مع التاكيد على عناصر الشجاعة و الكرم و المروءة و الحماسة في المواقف و قد كان مدحه لعمرو بن الحارث الملك الغساني اكثر من غيره حين لجأ اليه بعد ان نقم عليه النعمان ابو قابوس ، و قد اكرم مثواه و جعله من ندمائه كما ذكرنا في الفصل الاول فكان مما مدحه به النابغة قوله :

و للحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجيش دار المحارب

وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير اشائب

بنو عمه دنيا و عمرو بن عامر اولئك قوم باسهم غير كاذب

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب[٣٧]

و قد نلاحظ في تلك الابيات كيف ان الشاعر مدح الحارث مشيرا اليه بانه سيد قومه و من داره تبدأ الحروب و قد وصف ثقته العالية بنصره على الاعداء اذ وقفت كتائبه من بني عمه و يقودهم عمرو بن عامر و هم بواسل في القتال و قد لمح الشاعر ايضا الى عزيمتهم و بسالتهم و حين يغزون اعداءهم فانهم يأخذون

[٣٦] - قيم جديدة للادب ، د. عائشة ، مصر ، ١٩٧٠م ، ص١٣٨ .
[٣٧] - المنتخبات الشعرية ، للبستاني ، ص٦٢٣ .

معهم الطيور الجائعة لكي تشبع من جثث قتلى اعداءهم اللذين يتركونهم غذاءا للطيور و قد يصور حالة الطيور في انتظار نتيجة المعركة قائلا :

تراهن خلف القوم قررا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب الرانب[٣٨]

ثم يصف الابطال بعد الملك ببيت مشهور يتردد على الالسن دائما :

و لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

و هنا يشير الى تعرض سيوفهم للثلمات من كثرة القتال و قد تتكسر لشجاعة و قوة الفرسان و ليس هذا عيبا بل مدحا لانهم لا عيب فيهم بل تعبت سيوفهم من الضرب و قد مدح النابغة بني اسد عندما قتلت بنو عبس فضلة الاسدي فقتلت بنو اسد رجلين من عبس فقال النابغة :

اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك و لست مني

فهم درعي التي استلأمت فيها الى يوم النسار و هم مجني

و هم ردوا الجفار على تميم و هم اصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواطن صادقات اتيناهم بود الصدر مني

و هم ساروا الحجر في خميس و كانوا يوم ذلك عند ظني

و هم زحفوا لغسان بزحف رحيب السرب ارعن موجحن

بطل مجرب كالليث يسمو على اوصال ذيال رفن [٣٩]

و من ممدوحات النابغة حين كب على الحارث بن ابي شمر يكلمه في اسرى بني اسد و بني فزارة فأعطاه اياهم و اكرمه فقال النابغة :

قاد الحياء من الجدلان قائظة من بني منعله تزجي و مجنوب

[٣٨] - المنتخبات الشعرية ، البستاني ، ص٦٢٣ .
[٣٩] - المنتخبات الشعرية ، البستاني ، ص ٦٣٩ .

حتى استغاثت باهل الملح ما طمعت في منزل طعم نوم غير تأديب [٤٠]

و هنا يظهر لنا في البيتين وصف الحارث بانه قاد الجياد في وقت الصيف الشديد ليأخذ حقه بالقوة من اعداءه و قد استغاثوا به طالبن النجدة فكان كريما في داره و قراره و قد علمهم درسا في الاداب .

و قد اختلط المديح عند النابغة مع الاعتذار و خاصة للنعمان ابي قابوس في تلك القصيدة المشهور(يا دار مية) و قد خاطب الملك قائلا :

و من عصالك فعاقب معاقبة تنهي الظلام و لا تتعد على ضمد

الا لمثلك او من انت سابقه سبق اعداء اذا استولى على الامد

الواهب المائة العكاء زينها سيدان توضع في اوبارها اللبد

انبئت ان ابا قابوس اوعدني و لا قرار على زأر من الاسد

مهلا فداء لك الاقوا كلهم و ما اثمر من مال و من ولد [٤١]

و تظهر الابيات دقة الاعتذار و اختلاطه بالمديح فان الشاعر قد استسلم ضعيفا معتذرا من الملك طالبا العقوبة تحسم القطيعة مع النعمان فقد عرض النابغة لظلم و لا ينفع بعد الذل و قد مدح الملك قائلا (الا لمثلك) و يريده بنفسه و قد مدح اباه و من خرج من صلبه الى اخر الامد و من مدائح النابغة حين اغار النعمان بن وائل على بني ذبيان و سبى عددا كثيرا من غطفان و اسر عقرب بنت النابغة فقالت حين سألها من انت ؟ قالت انا بنت النابغة فقال لها : ما احد اكرم علينا من ابيك ثم اطلق سراحها و لاجلها اطلق اسرى غطفان فقال النابغة :

يقودهم النعمان منه بمحصف و كيد يغم الخارجي مناجد

و شيمة لا وان و لا واهن القوى و جد اذا خاب المفيدون صاعد

---

[٤٠] - ديوان النابغة ، كرم البستاني ، ١٤ .

[٤١] - ديوان النابغة ، كرم البستاني ، ص٣٦.

فاب بابطار و عون عقائل اوانس يحميها امرؤ غير زاهد

تخب الى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريقي و تالدي

فسكنت نفسي بعدما طار روحها و البستني نعمى و لست بشاهد

و كنت امرأ لا امدح الدهر سوقة فلست على خير اتاك بحاسد

سبقت الرجال الباحثين الى العلا كسبق الجراد احطاء قبل الطوارد

علوت مجدا نائلا و نكاية فانت لغيث الحد اول زائد[٤٢]

و تظهر قوة مديحه في اخر الابيات فقد وصف النعمان بانه قد سبق الرجال الطالبين المعالي مثلما يسبق الحصان القوي وقت الصيد بقية الخيول و يحصل على فريسته و قد فاق الملك قبائل معد و نائل و هو صاحب الفضل و الكرم و قد وصف بالغيث الماطر سقيا و عطاءا و هو رائد و مؤسس السماح و الفضيلة.

٢- الحكمة : لقد خبر الشاعر الجاهلي الحياة بكل صورها من خلال معاناته الذاتية و تجاربه الشخصية التي عمقت في نفسه الجانب الفكري حين اودع ذلك في عمله الابداعي و قد وجد ان (القصيدة الجاهلية على الرغم من انشدادها الى تفاصيل الحدث اليومي تتيح للشاعر ان يسوق تفاصيل طموحه الفكري في هذه اللمحات التي اصطلح عليها الديوان فيما بعد على تسميتها بابيات الحكمة)[٤٣]

و ما دام الشاعر الجاهلي قد استمد صوره من بيئته و قد وقع نظره على ما يراه و يسمعه و يتفاعل معه انبثقت من هذا كله طموحات و مفاهيم فكرية و تأملية تستجلي الرؤى الدالة على علاقات بين الناس ناتجة عن تفاعل و تباعد و خصام و فرح و

[٤٢] - ديوان النابغة ، كرم البستاني ، ص٤٥ .
[٤٣] - الشاعر العربي قبل الاسلام ، ص٢١ .

حزن يطرح من خلالها الشاعر تجربته ضمن حكمة مميزة نافعة تترددها الالسن ، و قد جاءت الحكم كثيرة في شعر النابغة منها ما يؤكده على قصة مثل زرقاء اليمامة التي تسمى فتاة الحي و قد ذهبت قصتها مثلا بين الناس قال فيها :

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد[٤٤]

كلنا نعرف خبر زرقاء اليمامة عندما رأت جماعة من القطا طائرة فعدتها و كان لها قطاة فقالت ليت ذا القطا لنا مع نصفه الى قطانا فيتم لنا مائة فنظروا فاذا عدد القطا ست و ستون و اراد بهذه الحكمة الفائدة من دقة البصر و كرامة المرأة و دورها في الحياة و قوله مخاطبا النعمان مقدما اليه حكمة ترددها الالسن :

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجرب [٤٥]

و هذا ما اراد قوله برفضه ان يكون كالبعير الاجرب المطلي بالقطران فترفضه و تبتعد عنه الناس لمرضه و يؤكد في حكمة على الصداقة و التوافق بين الاصحاب دون ملحة و مقصده اذ يقول :

و استبق ودك للصديق و لا تكن قتبا يعض بغارب ملحاحا

فالرفق يمن و الاناة سعادة فتأن في رفق تنال نجاحا

و اليأس مما فات يعقب راحة و لرب مطعمة تعود زياحا[٤٦]

و تظهر الحكمة واضحة في تلك الابيات الثلاثة حيث يؤكد في البيت الاول على بقاء المحبة للصديق و عدم الالحاح على المقاصد من خلالها ثم يوصي بان الرفق مسرة و سعادة و ان التأني و عدم العجالة طريق للنجاح ثم يختم حكمة ان اليأس اذا فات عليه الزمن يكسب المرء بعده راحة و لرب مذبوحة كانت تذبح غيرها بدوافع القوة و الغلبة .

---

[٤٤] - المنتخبات الشعرية ، ص٦٠٨ .
[٤٥] - المنتخبات الشعرية ، ٦١٣ .
[٤٦] - ديوان النابغة ، كرم البستاني ، ٢٨ .

و في غرض النصح و العظة و الارشاد يضع الذبياني حكمة في الاهد قائلا :

المرء يأمل ان يعيش و طول عيش قد يضره

تفنى بشاشته و يبقى بعد حلو العيش مره

و تخونه الايام حتى لا يرى شيئا يسره[٤٧]

و تكون تلك المقطوعة الشعرية بأبياتها الثلاثة حكمة واحدة مفادها ان الحياة لا تدوم لاحد و السرور غير خالد و الايام غدارة بأصحابها و هنا نظرة فلسفية الى الحياة و الموت و يكرر النابغة تحذيره من تصديق الايام لأنها لا تثبت على حالة واحدة و ان كل شيء زائل اذ يقول :

و لست بذاخر لغد طعاما حذار غد لكل غد طعام

تمخضت المنون له بيوم اتى و لكل جاملة تمام[٤٨]

و هكذا تكون الحكمة عظة و ارشادا و نصحا للناس يراد به الهداية و عدم الغرور و كف الاذى و حب الناس .

٣- الوصف : لا يخلو شعر من الوصف و لكن هذا الغرض ند النابغة قد اخذطابعا متميزا و دقيقا يدخل ضمن سياقات الطلل و الرحلة و قد تشترك الطبيعة بنوعيها المتحركة و الجامدة في تنقلات الشاعر و قد يكون المكان اول ما يبدأ بوصفه الشاعر :

عفا ذوحا من فرتنا فالنوارع فجنبا اريك فالتلاع الودافع

---

[٤٧] - الديوان ، البستاني ، ص٧٧ .
[٤٨] - الديوان ، البستاني ، ١١٦ .

توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام و ذا العام سابع[٤٩]

و في البيتين نجد اشارة المواضع (ذوحا) و فرتنا اسم امرأة ثم اريك اسم جبل اما التلاع فهي مجرى الماء في اعلى الوادي و هنا نرى طغيان الطبيعة في البيت الاول اما البيت الثاني فقد اشار الى بقايا الاثر (ايات) علامات ثم اراد ان يحددها بالزمن فقال ستة اعوام و ثم ختمها بالعام السابع .

و في القصيدة نفسها يأتي وصفه لذاته و خاصة الشيب :

على حين عاتبت المشيب على الصبا و قلت الما اصح و الشيب وازع[٥٠]

و هنا يصف حالته و كبر سنه بدلالة الشيب .

و قد يصف الحيوانات و الحشرات في كثير من قصائده و هي من الطبيعة المتحركة اذ قال في وصف الافعى :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع[٥١]

ان تلك الافعى يصفها نحيفة في كلمة ضئيلة دقيقة اللحم في كلمة الرقش و هي من الافاعي المنقطة بنقط سود و بيض و ثم يصف سمها الناقع اي الطويل المكوث لاستمرارية نقعه .

و قد يجمع بين وصف غير العاقل مع بعضه في قوله :

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها ايد اليك نوازع [٥٢]

الخطاطيف جمع خطاف و هي الحديدة المنعرجة و كأنها شدت بالحبال و الايدي التي تسحبها و تبذل جهدا في نقلها و هذه حال النابغة في تعقيد صورته الوصفية .

---

[٤٩] - المنتخبات الشعرية ، ص٦١٤ .
[٥٠] - المنتخبات الشعرية ، ٦١٥ .
[٥١] - المنتخبات الشعرية ، ص٦١٦ .
[٥٢] - المنتخبات الشعرية ، ٦١٩ .

و للناقة عند النابغة وصف مميز يركزه مع سرعتها و لم يكتفي بوصفها بل يربط صورته بالطيور و هنا كما اشرنا في بداية البحث من الطبيعة المتحركة اذ يقول :

حذاء مدبرة سكاء مقبلة للماء في النحر منها نوطة عجب

تدعو القطا و بها تدعى اذا نسبت يا حسنها حين تدعوها فتنتسب[٥٣]

ان الحذاء وصف للناقة السريعة في السير و السكاء هي القصيرة الاذن و النوطة الورمة التي تكون في رقبتها و هنا ندرك ذلك الوصف القائم على تعدد صور الناقة (سريعة قصيرة مورمة) ثم يأتي على سرعتها كسرعة الطير و هو طير القطا الذي يمتاز بالنظام في طيرانه و ترحاله و كذلك تلك الناقة التي تناديها فتستجيب النداء .

و يبقى وصف الطلل من اهم لوحاته الوصفية و هكذا اعتاد جميع الشعراء فالطلل يمثل لهم رمز الانتماء و هو قدحة الصراع الانساني بين الموت و الحياة فهو ذكرى الاهل و منزل الاحبة و مأوى الحيوان و مكان اللقاء بين الحبيب و حبيبته .. يذكر الشاعر بالحلم و الامس و الذكريات و ان نفسية الشاعر الجاهلي ترتبط به دون تصنع و ان الافتتاح به بات من اهم لوحات الشعر الجاهلي الدالة على القدرة الابداعية عند الشعراء و نستطيع ان نقول و هذا رأي لنا ان لوحة الافتتاح تمثل عند الشعراء الجاهليين نافذة ذاتية يطل بها الشاعر على امسه المنصرم و قد بات الطلل باعثا جعله يصب ذلك الالهام الشعري ليثبت للناس انه ما زال متعلقا بطلله و لذا نرى دلالات ذلك التمسك تبدأ بفعال الامر (عوجوا ، قفوا) نظير قوله :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى و احجار

اقوى و اقفر من نعم غيره صبوح الرياح بهابي المترب موار

وقفت فيها سراة اليوم اسألها عن ال نعم امونا عبر اسفار[٥٤]

---

[٥٣] - ديوان النابغة ، البستاني ، ص٢٤ .
[٥٤] - ديوان النابغة ، ص٤٨ .

قد بدأ الشاعر قصيدته بالأمر بالوقوف (عوجوا)

امام الدار لألقاء التحية ثم ينكر على نفسه الوقوف بالاثار اذ ليس عندها لسان للاجابة عليه .

و في قصيدة اخرى يقول :

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها و السارياتُ الهواطل

اسائل عن سعدى و قد مر بعدنا على عرصات الدار سبع كواحل [٥٥]

و نلاحظ جمع الشاعر بين الدار و السحاب فالدار وصف ثابت و السحابة متغيرة تروح و ترجع ثم يعبر عن ذاته متسائلا عن عدم حصوله على الاجابة .

و ما زال الشاعر مؤكدا على الرقم سبعة كما مر بنا في قصيدة سابقة و قد تتكرر كلمة المنازل في افتتاحيت النابغة انظر قوله :

اهاجك من السماء رسم المنازل بروضة نعمي فذات الاجاول

اريت بها الارواح حتى كأنما تهاوين اعلى تربها بالمناضل [٥٦]

و نلمس في البيتين المارين الجمع بين المنازل و السماء ثم تحديد المواضع (الاجاول) ثم اشارته الى ديمومة تهدمها حتى تحولت الى تراب ينخل بالمناخل .

و هكذا تتكرر الاشارات الوصفية عنده مطلقا عليها المواضع انظر قوله :

بانت سعاد و امسى حبلها انحذما و احتلت الشرع فالاجزاع من اخما[٥٧]

ان الشاعر يبدأ بالبعد و النأي لسعاد و لكنه لم ينس الاشارة الى الاجزاع و هي مواضع في منتهى الوادي و قد سمي الشاعر احد الوديان (اخما) و هكذا اعتاد

---

[٥٥] - ديوان النابغة ، ٨٧ .
[٥٦] - ديوان النابغة ، البستاني ، ص٩٢ .
[٥٧] - ديوان النابغة ، البستاني ، ص١٠١ .

النابغة على افتتاح لوحته بالطلل كغيره من الشعراء الجاهليين الذين ساروا مع ذلك النمط و السياق التقليدي .

٤- الرثاء : لن يتحدد هذا الغرض الشعري عند النابغة برثاء الشخوص او الموتى و الابطال فحسب بل كشف عن حالته النفسية المؤلمة بعدما حصل ما بينه و بين النعمان حيث نلاحظ نبرة الحزن واضحة في قصائده من خلال اسفه على اهل الرأي و المشورة من ابناء قبيلته او الوشاة اللذين نقلوا الفتنة بينه و بين النعمان و هو يتألم على تصرفات هؤلاء و يسمون انفسهم بشرا ، و قد ظهر للعيان ذلك البكاء الى الاطلال التي درستها الايام و غيرها الزمن حيث يقول :

فكفكت مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل ودائع[٥٨]

و كان يحمل حكمة الخوف من الموت و لابد منه حيث يقول :

فلا تبعدن ان المنية موعد و كل امرء يوما به الحال زائل [٥٩]

و كانت دلالات اشارته الى المرثي تتعلق بالقبور حيث يقول :

سقى الغيث قبرا بين بصرى و جاسم بغيث من الوسمي قطر و وابل [٦٠]

و له قصيدة مشهورة تعد من مرثياته الخالدة و التي رثى بها النعمان بن الحارث و هي قصيدة تتكون من ثلاثين بيتا قال في مطلعها :

دعاك الهوى و استجهلتك المنازل و كيف تصابي المرء و الشيب شامل[٦١]

---

[٥٨] - المنتخبات الشعرية ، ٦١٥ .
[٥٩] - المصدر نفسه ، ص ٦٣٩ .
[٦٠] - المصدر نفسه ، ٦٣١ .
[٦١] - ديوان النابغة ، ٨٧ .

و قد كان المطلع يدلل على ان المنازل التي كان يسكنها النعمان و هي لا تذكره و قد رحل عنها و هكذا حال الايام ثم يعود الى رثاء نفسه و يتعذلها على التصابي بعد الشيب :

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها و السارياتُ الهواطل

و حين بدأ بالدار التي هي المكان الثابت و اشار الى السحاب و الهواطل من الامطار الغزيرة لابد و ان يعرج على العنصر الثاني من عناصر القصيدة الجاهلية و هي المرأة اذ قال :

اسائل عن سعدى و قد قر بعدنا على عرصات الدار سبع كوامل

و كذلك لم ينس الناقة التي هي واسطة تنقله :

فسليت ما عندي بروحة عرمس تخب برحلي تارة و تناقل

و بعد ان انتهى من عناصره الثلاثة (الارض ، المرأة ، الناقة) عاد الى غرضه الاساس و هو الرثاء فينطلق الى شخصية المرثي قائلا :

فان تك قد وعدت غير مذمم اواسي ملك ثبتتها الاوائل

فلا تبعدن ان المنية موعد و كل امرء يوما به الحال زائل

و يعظم الشاعر من سمات مرثيه حيث يصف المكان باكيا على الشخص الراحل اذ يقول في القصيدة نفسها :

بكى الحارث الجولان من فقد ربه و حوران منه موحش متضائل

قعدوا له غسان يرجون اوبة و ترك و رهى الاعجمين و كابل

و يظهر لنا البيتان ان الشاعر اشار الى المكانين الحزينين و هما (الجولان و حوران) و اصبحا موحشين اي ذو وحشة ثم عرج على وصف ماء غسان في

الشام الذي نزل به يوما ماء السماء بن الحارثة جد الغساسنة ليشرب منه و عند رحيل الملك ضاع ذلك الامل الذي يرجوه العرب و الترك و العجم .[٦٢]

ان النابغة اتخذ من الرثاء مدخلا للحكمة لاستجلاء اعماق الذات في قصيدته ليكشف عن تلك الحيرة بعواطف صادقة و جياشة تتدفق دائما تلك الحيرة من الحياة و جدوى التصاق الناس بملذاتها و هم يرون ذلك الفناء و الرحيل الذي اخذ الالاف من امثالهم فلماذا لا يتعظون و يصلحون حالهم اذ يقول :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه و الدهر بالوتر ناج غير مطلوب

ما من اناس ذوي مجد و مكرمة الا يشد عليهم شدة الذيب

حتى يبيد على عمد سراتهم بالنافذات من المنبل بالمصاييب

اني رأيت سهام الموت معرضة بكل حتف من الاجال مكتوب [٦٣]

و تظهر لنا الابيات تلك الحكمة و العظة و الارشاد للذين يطلبون الدهر بالمزيد و هو مثلهم غير ثابت و قد ذهب اصحاب المجد و المكارم و صرعتهم الاقدار و قد ذهب سراة و زعماء القوم بالمواقف الصعبة و ربما المفاجئة و قد يضع موقفه الاخير بان سهام الموت مكتوبة على جبين الانسان و لا تخطيء احدا .

٥- الهجاء : ان للنابغة القدرة على الارتجال و الرد السريع فقد روي عنه (اول ما تكلم به النابغة من الشعر انه حضر مع عمه عند رجل و كان عمه يشاهد به الناس و يخاف ان يكون عبسيا فوضع الرجل كاسا في يده و قال :

تطيب كؤوسنا لولا قذاها و يحتمل الجليس على اذاها

[٦٢] - ديوان النابغة ، البستاني ، ص٩١ .
[٦٣] - رجال المعلقات العشر ، ص٢٨٥ .

فقال النابغة بسرعة :

قذاها ان شاربها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها[٦٤]

و من هجائياته الى زرعة بن عمرو الذي توعده فقال النابغة :

نبئت زرعة و السفاهة كأسها يهدي الي غرائب الاشعار

فحلفت يا زرع بن عمرو انني مما يشق على العدو فراري

ارايت يوم عكاظ رايتني تحت البجاج فما شققت غباري

انا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملت برة و احتملت فجاري[٦٥]

لقد اشار الى سفاهة زرعة و عدم حلمه و هو يستغرب كيف يحسبونه شاعرا و هو ليس من اهل الشعر و يقسم الشاعر بان نده ليس كفوءا ليضره و يخشى منه و قد يذكره يوم عكاظ حينما التقيا و تبارزا في الشعر فما استطاع زرعة ان يشق غباره في ميدان السباق ثم يذكره ببرة و فجار و هما معرفتان من اعلام الاجناس و البرة و الفجار من الفجور .

و في قصيدة اخرى يهجو زرعة ايضا قائلا الى بني عامر :

فدع عنك قوما لا عتاب عليهم هم الحقو عبسا بارض القعاقع[٦٦]

يقول لزرعة دع العتاب في بني اسد فانهم اهل عز و فخر و نخوة و انك لست مقدرا احوال الناس الاعظم منك قدرا .

و قد هجا النابغة النعمان قائلا :

حدثوني بني الشقيقة ما يمنع فقعلا بقرقر ان يزولا

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

---

[٦٤] - شعراء المعلقات العشر ، ٢٧٤ .
[٦٥] - المصدر نفسه ، ص٢٨٥ .
[٦٦] - المعلقات العشر ، ص٧٩ .

و من يضر الادنى و يعجز عن ضر الاقاصي و من يخون الخليلا

يجمع الجيش ذا الالوف و يغزو ثم لا يرزأ العدو قتيلا[٦٧]

لقد ابتدأ النابغة بهجاء قوم النعمان (الشقيقة) اشارة الى شقائق النعمان اما الفقع البيضاء الرخوة من الكمأة التي تخرج في الارض دون زراعة فلا قيمة لها و هكذا يريد تبرمه ، ثم يستخدم الهجاء (قبح الله) ثم اللعنة (بلعن) و قد اراد بالصائغ عطية ابا سلما ام النعمان ، ثم اكثر صفات مهجوه فهو يقدر على اذى الضعيف و ليس القوي و القريب ليس البعيد .

و قد هجا رجلا اخر و صفه بالأفعى وصل الاصلال قائلا : ما رزئنا به من حية ذكر نقاضة بالرزايا صل اصلال

لا يهنيء الناس ما يرعون من كلأ و ما يسقون من اهل رمن مال[٦٨]

و قد بدا البيتان واضحين في دلالتهما فقد ذكرها (نقاضة) التي تحرك لسانها و لا تستقر في مكان و التي اذا لسعت احدا قتلته بساعتها ، اما اشارة الصل فهو فرخ الحية السامة الفاتكة و قد جمعه لتضخيم صورته (اصلال) و بهذا الغرض نجد النابغة يستخدم لسانا جارحا و سهما قادحا فيقضي على من يتحداه و يتعدى عليه و هكذا حال الشعراء دائما .

٦- الاعتذار : الاعتذاريات اشهر شعر النابغة بلا خلاف ، قالها يعتذر بها للنعمان بن المنذر عن تركه اياه و رحيله الى غسان و حين قرأ النابغة تلك الاعتذارية رضي عنه النعمان و تعد اشهر اعتذارياته الدالية المشهورة التي عدها التبريزي من القصائد العشر و قد تصرف فيها الشاعر بفنون مختلفة من وصف و قصص و مدح و اعتذار كما قال.

١- وصف الاطلال :

---

[٦٧] - المصدر نفسه ، ص٩٩ .

[٦٨] - رجال المعلقات العشر ، ص١٠٠ .

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت و طال عليها سالف الامد

وقفت فيها اصيلا كي اسألها عيت جوابا و ما بالربع من احد[٦٩]

٢- وصف الناقة و الصراع بين الثور و الوحش و الكلاب

مقذوفة برخيس الخض بازلها له صريف صريف القعر بالمد

٣- مدح النعمان :

فتلك تبلغني النعمان ان له فضلا على الناس في الادنى و البعد

و لا ارى فاعلا في الناس يشبهه و لا احاشي من الاقوام من احد

٤- طلب التروي من النعمان :

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد

٥- تبرئة نفسه من الذنب :

ما قلت من سيء مما اتيت به اذا فلا رفعت سوطي الي يدي

اذا فعاقبني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالقتد

هذا لابرأ من قول قذفت به طارت نوافذه حرا على كبدي

انبئت ان ابا قابوس اوعدني و لا قرار على زأر من الاسد

٦- التراحم و الدعاء الى النعمان :

مهلا فداء لك الاقوام كلهم و ما اثمر من مال و من ولد

لا تقذفني بركن لا كفاء له و ان تأثنك الاعداء بالرفد

فما الفرات اذا هب الرياح له ترمي اواذيه العبرين بالزبد

---

[٦٩] - المنتخبات الشعرية ، ص٦٠١ .

٧- تقديم العذر و طلب السماح :

هذا الثناء فان تسمع به حسنا فلم المرضى ابيت اللعن بالصفد

ها ان ذي عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها مشارك النكد

و نحن نحلل تلك الاعتذراية نجد ذلك الترتيب و التنظيم في نسق البناء الشعري كي يفهم السامع عند انشاده المطلوب و هذه القدرة على تنظيم بنائية القصيدة معروفة عند النابغة ، و ليست هذه الاعتذارية وحدها ما قدمها الى النعمان بل هناك بائية قال فيها :

اتاني ابيت اللعن انك لمتني و تلك التي اهتم منها و انصب

فبت كأن العائدات فرشن لي هراشا به يعلى فراشي و يقشب

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة و ليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي اغش و اكذب

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجرب[٧٠]

و يظهر لنا افتتاح القصيدة باستغراب الشاعر مما تاه من خبر مؤلم حتى بات مريضا كان النساء تتردد على زيارته و قد قدم قسمه طالبا ان يصدقه النعمان لما افترى عليه من ذنب لم يرتكبه و قد طلب منه الا يتركه يائسا بل يعطيه الامل و السماح و يدركه بالمغفرة منه و هنا حال الاسترحام و تخفيف الغضب كي لا يشمت به الناس و اذا تركه على الحال هذه يصبح كالبعير الاجرب المطلي بالقطران اذ لا يتأمل احد شفاؤه بعد .

[٧٠] - المنتخبات الشعرية ، ص٦١٢ .

الدلالات اللغوية في شعر النابغة

اللغة الشعرية :

تعد اللغة بألفاظها و تراكيبها المعين الثر الذي ينهل منه الشاعر في توصيل تجربته الشعرية ضمن مفردات لغوية منسجمة مع الحدث الموضوعي و ترابط الصلة في ابيات القصيدة بين الالفاظ و المعاني .

١- تحليل الالفاظ المفردة في شعر النابغة :

لقد تكررت الالفاظ الدالة على الحركة و الايحاء كقوله :

اعطى الفارهة حلوا توابعها من المواهب لا تعطى على نكد

و الساحبات ذيول الربط فنقها برد الهواجر كالغزلان بالجرد

و الادم قد خيست فتلا مرافقها قدوءة برحال الحيرة الجداد[٧١]

تظهر لنا في الابيات الثلاثة الالفاظ الدالة على حركة الحدث الذي اراد توصيله الشاعر (اعطى ، فنق ، خيست) و كلها تتوائم مع المعنى الذي اراده و لو اراد الشاعر ان يستبدل الفعل خيست لكان ذلك كما جاء في شرح القصيدة عند التبريزي و الذي نراه ان الايقاع و الوزن الشعري قد قيداه ذلك حيث ان القصيدة من وزن البسيط و قد يحصل خلل لو قال ذللت و قوله ايضا في المخيسة و اراد الناقة :

و هوي للمخيسة النواجي عليها القائات من الرحال [٧٢]

و قد اكد النابغة على استخدام تلك اللفظة (خيس) في قصيدة اخرى اذ قال :

و خيس الجن اني قد اقرنت لهم يبنون تدمر بالصفاح و العمد[٧٣]

و من الالفاظ المكررة عند النابغة (حلفت) في قوله :

---

[٧١] - المنتخبات الشعرية ، ص٦٠٨ .
[٧٢] - ديوان النابغة ، ص٩٨ .
[٧٣] - رجال المعلقات العشر ، ص٢٧٣ .

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة و ليس وراء الله للمرء مطلب[٧٤]

و قوله في اللفظة نفسها :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة و هل يأتمن ذو امة و هو طائع[٧٥]

و من الالفاظ المكررة (ابيت اللعن) قوله :

اتاني ابيت اللعن انك لمتني و تلك التي اهتم منها و انصب [٧٦]

و قوله :

اتلني ابيت اللعن انك لمتني و تلك التي تستك منها المسامع [٧٧]

و لان النابغة يعاني من تلك المشكلة بينه و بين النعمان فقد اكثر من افعال الزعم و الظن انظر قوله :

زعم الهمام ان فاها باردا عذب مقبله شهي المورد

زعم الهمام و لم اذقه انه عذب اذا ما ذقته قلت ازدد

زعم الهمام و لم اذقه انه يشفي بريا ريقها العطش الصدي[٧٨]

و يظهر لنا الحاح الشاعر على تكرار لفة يحس بها المخاطب الذي اخص به النعمان لكي يغير الشك به و قد كرر ذكر ما يرمز اليه في ثلاثة ابيات متناوبة قاصدا النعمان الهمام .

و من الفاظه المفردة المتكررة (لعمري) في قوله :

لعمري لنعم الحي صبح سربنا و ابياتنا يوما بذات الرواد[٧٩]

---

[٧٤] - المصدر نفسه ، ص .
[٧٥] - المصدر نفسه ، ص٢٨١ .
[٧٦] - ديوان النابغة ، ص١٧ .
[٧٧] - رجال المعلقات العشر ، ص٢٨١ .
[٧٨] - ديوان النابغة ، ص٤١ .
[٧٩] - - ديوان النابغة ، ص٤٤ .

و قوله :

لعمري لنعم المرء من ال فجعم تزور ببصرى او ببرقة هارب[٨٠]

و قوله ايضا :

لعمري و ما عمري علي بهين لقد نطقت باطلا علي الاقارع [٨١]

و من الفاظه المفردة المكررة (ابلغ هذا) فعل امر يريد به سرية وصول الخبر الى الشخص انظر قوله :

الا ابلغ لديك ابا حريث و عاقبة الملام للمليم [٨٢]

و قد راينا سبب استخدام ابلغ لانه يهجو ابا حارث و هو زيد بن عمرو الذي طعن بشخصه و كأن الشاعر يقترف امرا فيستخدم الفعل ابلغ للسرعة و الرد على عدوه .

و قوله في قصيدة يرد بها على بدر بن حزاز :

الا من مبلغ عني خزيما و زبان الذي لم يرع صهري[٨٣]

ان الشاعر يذكر خزيما و زبان و هما ابنا سيار بن عمرو لانه قد عرف بهما قد اعانا بدرا على صهره و لذلك اشار بالابلاغ امرا (ابلغ) .

و لم يقل للنعمان ابلغ بل يتخذ جانبا من الاحترام و التقدير قائلا :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حسن ببرقة صادر[٨٤]

و في باب العتاب قال النابغة معاتبا يزيد بن سيار و بني مرة على تحالفهم على قومه :

الا ابلغ ذبيان عني رسالة فقد اصبحت عن فيهم الحق جائر [٨٥]

---

[٨٠] - المصدر نفسه ، ص٢٥ .
[٨١] - الديوان ، ص٨٠ .
[٨٢] - المصدر نفسه ، ١١٨ .
[٨٣] - ديوان النابغة ، ص٥٨ .
[٨٤] - ديوان النابغة ، ص٦٦ .

و قد استخدم (مبلغ) في قول اخر :

من مبلغ عمرو بن هند اية و من النصيحة كثرة الانداء[٨٦]

و حين يبكي النابغة على بني عبس حين فارقوا بني ذبيان و انقطاعهم الى بني عامر يستخدم الفعل نفسه :

ابلغ بني ذبيان ان لا اخا لهم بعبس اذا حلو الرماخ فاظلما[٨٧]

و كم كرر النابغة لفظة (الكني) و معناها ابلغ رسالتي اذ قال حين قتلت بنو عبس فضلة الاسدي :

الكني يا عينين اليك قولا ساهديه اليك اليك عني [٨٨]

و قوله :

الكني الى النعمان حيث لقيته فاهدي له اللم الغيوق البواكرا[٨٩]

و هنا اشار ان الرسالة يعني (البركة) و خص الشاعر البواكير لان الغيث اذا تأخر عن وقته بطل كثير من المنافع لتأخره و هكذا يلح على الرسالة الاخبار .

و يستخدم الشاعر لفظة (تمزع) في قوله :

و الخيل تمزع غربا في اعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرء[٩٠]

لقد استطاع الشاعر ان يؤدي المعنى بلفظة تمزع لانها حملت الى السامع اقصى ما تستطيع من مكنوناتها فقد ادت السرية اداء موفقا يختلف اشد الاختلاف مما تؤديه كلمة اخرى (غربا) كذلك اضافت الى السرعة لونا من النشاط و الحركة .

---

[٨٥] - الديوان ، ٦٨ .
[٨٦] - الديوان ، ٧٦ .
[٨٧] - الديوان ، ص١٠٩ .
[٨٨] - ديوان النابغة ، ص١٢٢.
[٨٩] - ديوان النابغة ، ص٦٥ .
[٩٠] - النابغة ، د. العشماوي ، ص١٩٦ .

٢- التراكيب و الاساليب المتنوعة في شعر النابغة :

ثمة اساليب متعددة و متكررة جاءت في شعر النابغة منها :

١- الاستفهام : و يريد به التوصيل و لا يشترط الاجابة و هنا يدخل ضمن الاستفهام المجازي الذي لا يحتاج جوابا كقوله :

الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[٩١]

و قوله مستخدما همزة الاستفهام :

ارسما جديدا عن سعاد تجنب عفت روضة الاجداد منها فيثقب[٩٢]

و قوله باستخدام ما لغير العاقل :

و ما حاولتما بقياد خيل يصول الدرد فيها و الكميت [٩٣]

و كذلك قوله باستخدام همزة الاستفهام :

اهاجك من سعداك مغنى المعاهد بروضة نعمي لا فذات الاساود[٩٤]

و قد يستخدم الهمزة الداخلة على النفي في قوله :

الم تر خير الناس اصبح نفسه على فتية قد جاوز الحي سائرا[٩٥]

٢- اسلوب الشرط و قد جاء اكثر كل الاساليب في شعر النابغة و خاصة في اغراض الحكمة و الوعظ و الارشاد و من ذلك قوله :

فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك و الله على الرشد

و من عصاك فعاقبه معاقبة تهني الظلوم و لا تعقد على ضمد[٩٦]

---

[٩١] - ديوان النابغة ، ص١٨ .
[٩٢] - ديوان النابغة ، ص٢٢ .
[٩٣] - الديوان ، ص٢٦ .
[٩٤] - الديوان ، ص٤٣ .
[٩٥] - الديوان ، ص٦٣ .

و يظهر لنا بوضوح استخدام من للعاقل و اشارة الطاعة و العصيان في باب الارشاد و النصح .

و قوله :و من يتربص الحدثان تنزل بمولاه عوان غير بكر [٩٧]

و يظهر لنا اسم الشرط للعاقل من و فعل الشرط يتربص و جواب الشرط تنزل و قد اشار الى الداهية القديمة اي حوادث الدهر و هو يتمنى الا ينزل الشر بقومه .

و من الحروف الدالة على الشرط (ان) فقد قال النابغة :

و ان يرجع النعمان نفرح و نبتهج و يات معدا ملكها و ربيعها [٩٨]

و يظهر لنا في البيت الحرف ان و فعل الشرط يرجع و جواب الشرط نفرح و عطف عليه كذلك الفعل نبتهج و استخدم الحرف اذا ايضا جامعا بين (ان و اذا) في قوله :

اذا جاهدته الشد جد و ان ونت تساقط لا وان و لا متخاذل[٩٩]

و يظهر لنا الحرف اذا و فعل الشرط جاهدته و جواب الشرط جد و كذلك الحرف ان و فعل الشرط ونت و الجواب تساقط .

٣- اسلوب النداء : و يريد به الخطاب المباشر و الغائب و قد خاطب النابغة المكان (الدار) قائلا :

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت و طال عليها سالف الابد[١٠٠]

و قد استخدم الشاعر النداء المرخم بحذف اخر حرف من الاسم مثل (مالك – مال ، سلمى – سلم ، بثينة – بثين ،) او قد جاء في قول النابغة عامر فقال عام انظر قوله :

---

[٩٦] - الديوان ، ص٣٣ .
[٩٧] - الديوان ، ص٥٨ .
[٩٨] - الديوان ، ص٨٥ .
[٩٩] - الديوان ، ص٨٨ .
[١٠٠] - ديوان النابغة ، ص٣٠ .

يا عام لم اعرفك تنكر سنة بعد الحزين تتابعوا بالمرصد[١٠١]

و يخاطب قومه قائلا :

يا قوم ان ابن هند غير تاركم فلا تكونوا لادنى وقعة جزرا[١٠٢]

٤- اسلوب النهي بالاداة لا و قد تنوعت الافعال المجزومة و قد طلب من النعمان ان لا يتركه بالامل يائسا دون الرضا :

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار اجرب[١٠٣]

و يطلب من الناس ان تتعظ بالحياة و مقالب الدهر لذلك ينهى عن نسيان الموت و يذكر به قائلا مستخدما لا الناهية الداخلة على الفعل المضارع المبني (تبعدن):

فلا تبعدن ان المنية موعد و كل امرء يوما به الحال زائل [١٠٤]

٥- اسلوب الامر بالأفعال و المصادر و قد جاءت كثيرة في شعره و منها ما جاء بالأفعال قوله :

عرجوا فحيوا لنعم و منة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار[١٠٥]

و قد تكرر الفعلان (عوجوا ، حيوا) و يظهر لنا الاستفهام واضحا في (ماذا) :

و قوله :

تجنب بني حسن فان لقاءهم كريه و ان لم تلق الا بصابر[١٠٦]

و هنا يظهر الفتح تجنب الدال على التحذير و التنبيه .

و قوله :

---

[١٠١] - ديوان النابغة ، ص٤٧ .
[١٠٢] - الديوان ، ص٧٤.
[١٠٣] - الديوان ، ص١٨ .
[١٠٤] - الديوان ، ص٩٠ .
[١٠٥] - الديوان ، ص٤٨ .
[١٠٦] - الديوان ، ص٦٦ .

ودع امامة و التوديع تحذير و ما وداعك من من قفت به العير[١٠٧]

و قوله :

فدع عنك قوما لا عتاب عليهم هم الحقرا عبسا بارض القعاقع [١٠٨]

و من استخدامه المصدر قوله :

صبرا بغيض بن ريث انها رحم حسبتم بها فاناختكم بجعجاع[١٠٩]

فالمصدر صبرا جاء من الفعل اصبر صبرا .

و كذلك قوله :

حذارا على ان لا تنال سقارتي و لا نسوتي حتى يمتن حرائرا[١١٠]

و قد استخدم اسم الفعل حذار مراد المصدر حذارا اي احذر .

و قوله :

مهلا فداء لك الاقوام كلم و ما اثمر من مال و من ولد[١١١]

و المصدر النائب مهلا .

٦- اسلوب القسم و قد اشرنا اليه في دلالات الالفاظ المفردة في قوله :

حلفت يمينا غير مشتوية و لا علم الا حسن ظني بصاحب[١١٢]

و قوله :

لعمري لنعم المرء من ال ضجعم تزور ببصرى او ببرقة هارب[١١٣]

---

[١٠٧] - الديوان ، ص٧١ .
[١٠٨] - الديوان ، ص٨٣ .
[١٠٩] - الديوان ، ص١٢٩ .
[١١٠] - الديوان ، ص٦٥ .
[١١١] - الديوان ، ص٣٦ .
[١١٢] - الديوان ، ص١٠ .

و قوله : لعمري لنعم الحي صبح سربنا و ابياتنا يوما بذات الراود[١١٤]

٧- اسلوب التوكيد بادوات مختلفة منها ان و لام الابتداء و التكرار اللفظي و من امثلة ذلك :

ان الرميثة مانع ارواحنا ما كان من سحم بها و صفار[١١٥]

و قوله :

ان القفول الى حي و ان بعدوا امسوا و دونهم شهلان فالنير [١١٦]

و قوله :

لانك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها ان تميلا[١١٧]

و التوكيد بالحرف قد :

قد عريت نصف حول اشهرا جددا يسفي على روحها بالحيرة المور[١١٨]

و بلام الابتداع الداخلة على فعل المدح نعم :

لعمري لنعم الحي صبح سربنا و ابياتنا يوما بذات المراود[١١٩]

٨- اسلوب النفي و قد كثرت حالاته منها لا النافية للجنس في قوله :

فلا بد من عوجاء تهوي بمراكب الى ابن الجلاح سيرها الليل قاصد[١٢٠]

و كذلك قولهم :

لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[١٢١]

---

[١١٣] - الديوان ، ص٢٥ .
[١١٤] - الديوان ، ص٤٤ .
[١١٥] - الديوان ، ص٦٢ .
[١١٦] - الديوان ، ص٧١ .
[١١٧] - الديوان ، ص٩٨ .
[١١٨] - الديوان ، ص٧١ .
[١١٩] - الديوان ، ص٢٤ .
[١٢٠] - الديوان ، ص٤٥ .

و تظهر الاداتان لا داخلتين على (بد ، يحسب) .

و من النفي بـ (الداخلة) على الافعال قوله :

و لا يحسبون الخير لا شر بعده و لا يحسبون الشر ضربة لازب[١٢٢]

تكررت لا ثلاث مرات (منها الاولى و الثالثة دخلت على الفعل المضارع المتكرر لا يحسبون اما الثانية فهي لا نافية للجنس و من دخول لا على الفعل ايضا قوله :

و كذلك دخول ما على الفعل الماضي :

ما قلت من سيئي مما اتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدي[١٢٣]

و يظهر في البيت المنفي فيما قلت و جاء الدعاء ايضا بلا النافية الداخلة على الفعل الماضي رفعت .

---

[١٢١] - الديوان ، ص١١ .
[١٢٢] - الديوان ، ص١٣ .
[١٢٣] - الديوان ، ص٣٦ .

مصادر البحث

١- الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين ، ت ٣٥٦ هـ ، نسخة مصورة من دار الكتب المصرية ، د. ت .

٢- تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. نوري القيسي و اخرون ، بغداد ، ١٩٧٩م .

٣- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، بيروت ، ١٩٦٨م .

٤- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق و شرح كرم البستاني ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٠م .

٥- رجال المعلقات العشر ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، ط٢ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د. ت .

٦- النابغة الذبياني – منتخبات شعرية ، فؤاد اكرم البستاني ، ط٥ ، بيروت ، ١٩١٥م .

٧- لنابغة الذبياني ، د. محمد زكي العشماوي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠م .

٨- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ابن رشيق القيرواني ، ت ٤٥٦هـ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٢م .

٩- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ ، ط٢ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩١٩م.

١٠- الشاعر العربي قبل الاسلام

١١- خزانة الادب ، لابن البغدادي عبد القادر بن عمر ، ١٠٩٣هـ ، القاهرة ، المطبعة التجارية ، ١٣٤٧هـ .

١٢- طبقات الشعراء ، ابن سلام .

١٣- تاج العروس

١٤- قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر ، د. عائشة عبد الرحمن ، مصر ، ١٩٧٠م .

١٥- مقامات بديع الزمان الهمذاني احمد بن الحسين ٣٥٨هـ ، شرح و تقديم : محمد عبده ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٥٣م .